

فن الحوار

ألا تذكـر يومـاً من الدهر أنك جلسـت في مـكان فاحتد الحـوار بينك وبين شـخص ما.. فبقي في نفسـك عليه بغض أو غضب أياماً.. أو لعلك تذكر جدالاً حصـل بين اثنين – وقد يكون في قضية تافهـة – وأنت تنظر إليهما وقد ارتفعت الأصوات واحمرت العيون.. ثم تفرقا.. واستثقل كل منهما صاحبه بعدها..

إذن نحـن نتعبُ في جذب بعض الناس إلينا بممارسـة مهـارات متنوعة.. ثم نفرقهم عنا بموقف لا نحسن التصرف فيه.. ومن ذلك عدم إتقان فن الحوار..

المحـاور كالـذي يصعد جبلاً وعـراً.. ينبغي أن يعتني بموضـع يده وموضع رجلـه.. فتجـد صاعـد الجبـل ينظـر إلى الصخرة الـتي يريـد أن يتعلـق بها.. ويفحصها بنظره ويتأمل في قوة ثباتها قبل أن يضع عليها قبضته.. وكذلك في الصخرة التي يثبت عليها قدمه.. ثم إذا أراد أن يرفع قدمه عن صخرة نظر إلى الصخرة قبل أن يغادرها خشية أن لا يحسن رفع رجله من عليها فتهوي به..

لن أطيل عليك الكلام.. فخيره ما قل ودل..

الدخـول في الحوار أو الجدال أمر غير محمود.. ولعلك توافقني أن أكثر من ٩٠٪ من الحوارات والمجادلات غير مفيدة.. فحاول تجنب الجدال قدر المستطاع..

ولا تغضب إذا اعترض عليك أحد أو جادلك.. خذ الأمر بأريحية قدر المستطاع.. ولا تعذب نفسك بالتفكير في نية المعترض.. ماذا يقصد.. ولماذا أحرجني أمامهم..

لا تقتل نفسـك بالهم.. تعامل مع الموقف بهـدوء.. فالرياح لا تهز إلا الصخور الصغيرة.. وأنت جبل..



لما قدم النبي ﷺ إلى مكة فاتحاً.. بعدما نقضت قريش العهد.. كان ﷺ قد دعا الله أن يعمي عنه قريش.. ليبغتهم.. قبل أن يستعدوا للقتال..

فلما أقبل النبي ﷺ.. إلى مكة نزل قريباً منها.. ولم تعلم قريش بشيء.. ولكنهم كانوا يتوجسون ويترقبون..

فخرج في تلك الليلة التي نزل فيها النبي ﷺ.. (أبو سفيان) في نفر معه يتجسسون الأنباء.. وينظرون هل يجدون خبراً.. أو يسمعون به.. وجعل النبي ﷺ.. يترقب الصبح ليُغير على قريش..

فلما رأى (العباس) رضي الله عنه.. ذلك.. قال: واصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة أي بالقوة.. قبل أن يأتوه فيستأمنوه.. إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر..

فقام (العباس).. فاستأذن النبي ﷺ.. فأذن له.. فركب على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء.. ومضى يمشي بها..

و(أبو سفيان) في أصحابه.. يقترب من معسكر النبي ﷺ وهو لا يعلم أنه هو.. وينظر إلى نيران المسلمين.. ويقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً.. ما أعظم هذا.. من ترى هؤلاء..؟ فقال صاحبه: هذه والله قبيلة خزاعة حمشتها الحرب.. قال: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها..

جعل (أبو سفيان) يقترب أكثر وأكثر.. حتى وقع في قبضة جمع من حرس المسلمين.. فاقتادوه إلى جهة رسول الله ﷺ..

فبينما (العباس) يسير على البغلة.. إذا بأبي سفيان وأصحابه.. قد قبضت عليهم خيل المؤمنين.. فأقبل (أبو سفيان) فزعاً.. فركب خلف (العباس).. وجعل أصحابه يتبعونه فزعين.. والمؤمنون خلفهم..



فجعل (العباس) يسرع بأبي سفيان.. إلى رسول الله ﷺ.. وكلما مرَّ بنار من نيران المسلمين.. قالوا: من هذا؟

فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ.. ورأوا (العباس) عليها.. قالوا: عم رسول الله ﷺ.. على بغلة رسول الله ﷺ..

والعباس يسرع بها.. يخاف أن يفطنوا لأبي سفيان..

حتى مرَّ بنار (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه فقال: من هذا؟ وقام إليهم..

فلما رأى (أبا سفيان) على عجز الدابة.. صاح بالناس قال: أبو سفيان عدو الله!.. الحمدلله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد..

فمنعه (العباس).. ثم ذهب (عمر) يشتد.. نحو رسول الله ﷺ.. و(العباس) يسرع بالدابة.. حتى سبقه (العباس)..

فلما وصل إلى موضع النبي ﷺ.. اقتحم (العباس) عن البغلة سريعاً.. فدخل على رسول الله ﷺ.. فدخل عليه (عمر).. وجعل يقول:

- يا رسول الله.. هذا (أبو سفيان).. قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد.. فدعني فلأضرب عنقه؟..

كان (أبو سفيان) قد فعل الأعاجيب بالمسلمين.. فهو قائد المشركين في معركة أحد.. وقائدهم في معركة الأحزاب وطالما ضيّق على المسلمين.. وقتل وعذّب.. وها هو الآن في قبضتهم!!

- فقال (العباس): يا رسول الله.. إني قد أجرته..

ثم جلس (العباس) إلى رسول الله ﷺ.. فأخذ برأسه.. وجعل يناجيه في أذنه..

- و(عمر) يردد: يا رسول الله.. اضرب عنقه..

فلما أكثر (عمر) في شأنه.. التفت إليه (العباس) وقال:

- مهلاً يا عمر! فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب.. ما قلت هذا..

أي لو كان من قرابتك.. ما قلت هذا.. ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.. فشعر (عمر) أنه سيدخل في جدال لا يتناسب مع الحال الذي هم فيه.. ثم ما الفائدة المرجوة من النقاش في مسألة لو كان من (بني كعب) رغب في إسلامه أما من غيرهم فلا يهمه!!

- قال (عمر) بكل هدوء: مهلاً يا (عباس).. مهلاً.. فوالله لإسلامك يوم أسلمت.. كان أحب إليَّ من إسلام (أبي الخطاب) لو أسلم! لأني قد عرفت أن إسلامك.. كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب..



فلما سمع (العباس) رضي الله عنه ذلك سكت..

انتهى الحوار..

مع أنه كان في إمكان (عمر) أن يطيله ويزيده.. فيقول: ماذا تقصد؟!! هل تتهم نيتي؟! هل تعلم ما في قلبي؟! لماذا تثير النعرة القبلية؟! كلا لم يقل ذلك.. فهم جميعاً كانوا أرفع من أن ينزغ الشيطان بينهم..

سكت (عمر) و(العباس) - رضي الله عنهما -.. و(أبو سفيان) واقف ينتظر أن يأمر النبي ﷺ فيه بشيء..

- فقال ﷺ: اذهب به يا (عباس) إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به..

فذهب به (العباس).. إلى خيمته.. فبات عنده.. فلما أصبح (أبو سفيان) فجْر تلك الليلة.. ورأى الناس يجنحون للصلاة.. وينتشرون في استعمال الطهارة..

- قال للعباس: ما بالهم؟

- قال: إنهم قد سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة..

فلما حضرت الصلاة.. وصفوا صفوفاً.. وتقدم رسول الله ﷺ وكبرّ مصلياً بهم.. ورآهم يركعون بركوعه.. ويسجدون بسجوده.. عجب من شدّة الطاعة والاتباع. فلما انقضت الصلاة أقبل عليه (العباس).. ليمضي به إلى رسول الله ﷺ..

- فقال (أبو سفيان): يا (عباس) ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟
- قال: نعم.. والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه..
- فقال (أبو سفيان): يا (عباس).. ما رأيت كالليلة.. ولا ملك (كسرى) و(قيصر)!

فلما دخل به (العباس) إلى رسول الله ﷺ..

- قال ﷺ: ويحك يا (أبا سفيان).. ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟

كانت الليلة التي قضاها (أبو سفيان) بين المسلمين كفيلة بأن تخفف عداوته..

- فقال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان لي مع الله إلهٌ غيره لأغنى عني شيئاً!
- فقال ﷺ: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟
- كان أبو سفيان صريحاً فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً!
- فقال له (العباس): ويحك يا أبا سفيان أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله.. وأن محمد رسول الله..
- فسكت قليلاً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله..

فَسُرّ النبي ﷺ.. سروراً عظيماً..

- فقال العباس: يا رسول الله.. إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً..
- فقال ﷺ: نعم.. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن..

فأنشـد أبو سفيان رضي الله عنه بين يدي رسول الله ﷺ.. أبياتاً.. يعتذر إليه مما كان مضى منه..

لعمــرك إني يــوم أحمـل رايـــة ... لتغلـب خيــلُ الــلات خيــلَ محمـد
لكالمـدلـج الحيران أظلــم ليلــه ... فهــذا أواني حين أهـــدي وأهتـدي
هدانـي هــاد غيرُ نفســي ونـالني ... مـع اللّه مــن طـــرَّدتُ كلَّ مطـــرد
أصــدُّ وأنأى جاهـداً عـن مـحمـد ... وأُدْعَى وإن لم أنتـسب من مـحمـد

فقيل إنه حين قال: وتالني.. مع الله من طردت كل مطرد.. ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد..

فكرة..

ليس الذكاء أن تنتصر
عند الجدال.. وإنما الذكاء
أن لا تدخل في الجدال أصلاً..





اقطع الطريق على المعترضين

من أكثر ما يوغر صدور بعض الناس على بعض.. ما يجنيه اللسان من مفاسد.. ومن ذلك استعجال بعض الناس بالاعتراض على الحديث ومقاطعة المتكلم دون تروٍّ ونظر.. فيثور عند ذلك جدال عقيم يوغر الصدور ويفسد النفوس..

لن تستطيع إصلاح جميع الناس وتأديبهم بالآداب الشرعية.. أو تدريبهم على مهارات متميزة.. ودعنا نتجاوز مرحلة التنظير التي تحلو لبعض الناس أن يدندن عليها دائماً بقوله: المفروض الناس أن يفعلوا كذا.. والمفروض أن يتعوّدوا على كذا..

دعك من هذا.. وأدِّ الصلاة على الميت الحاضر - كما يقال -.. أعني أننا ينبغي عند تعاملنا مع الأخطاء ألا ننشغل ببحث ما يجب على الآخرين أن يفعلوه بل ماذا يجب علينا نحن أن نفعله..

عندما تريد أن تتكلم بشيء غريب قد يستعجل الآخرون الاعتراض عليه.. ينبغي لك أن تغلق عليهم أبواب الاعتراض بمقدمات تجيبهم فيها عن أسئلتهم قبل أن يطرحوها.. بل وتزيل بها استغرابهم قبل أن يتكلموا به.. وبعض الناس يحسن فعلاً أن يغلق الأبواب على المعترض قبل أن يشعره باعتراضه..

أذكر أن شيخاً كبير السن جلس في مجلس فتكلم عن حادثة خصومة رآها بين اثنين في محطة وقود.. وكيف أن شجارهما زاد واشتد حتى حُمِلا إلى مخفر الشرطة..



فقفز أحد الجالسين - من الثرثارين - مشاركاً في القصة فقال: نعم صحيح.. لكن لم يحصل كذا.. وإنما حصل بينهما كذا.. وفلان هو المخطئ..

وبدأ يذكر تفاصيل لم تحدث.. فالتفت إليه الشيخ وكأني به يكاد ينفجر.. لكنه تماسك.. وقال بكل هدوء:



- هل حضرت الحادثة بنفسك؟
- قال: لا..
- قال: فهل حدثك أحد ممن حضروها؟
- قال: لا..
- قال: فهل اطلعت على محاضر التحقيق؟
- قال: لا..
- عندها صاح الشيخ وقال: طيب يا... كيف تُكذّبني وأنت لا تدري عن شيء!!

فأعجبتني مقدماته قبل اعتراضه.. ولو أنه اعترض دون أن يذكر مقدمات يغلق بها الأبواب على صاحبه.. لكان لصاحبه مجال واسع للخروج من الموقف ولو بالكذب.. فنحن أحياناً نحتاج عندما نريد أن نقرر أشياء أن نقدم بمقدمات نقنع بها المخالفين قبل أن يعترضوا..

لما خرجت قريش لقتال النبي ﷺ وأصحابه في بدر.. كان بعض العقلاء فيها لا يريدون الخروج.. لكن قومهم أكرهوهم عليه.. فعلم النبي ﷺ بهم.. وتأكد أنهم وإن حضروا المعركة فلن يقع منهم قتال للمسلمين..

فلما اقترب ﷺ من ميدان المعركة.. أراد أن ينبه أصحابه لذلك.. وأن ينهاهم عن قتلهم.. لكنه يعلم أنه سيقع في قلوب بعض الناس أسئلة: كيف لا نقتلهم وهم خرجوا لحربنا!! .. لماذا استثنى هؤلاء بالذات؟! فقدم مقدمة أزال بها الاعتراضات ثم ذكر التوجيه.. كيف؟

قام ﷺ في أصحابه وقال: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا.. انتهت هذه مقدمة..

ثم قال: فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله.. ومن لقي (أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد) فلا يقتله.. ومن لقي (العباس بن عبد المطلب).. عم رسول الله فلا يقتله.. فإنه إنما خرج مستكرهاً..

فمضى الصحابة على ذلك.. وبدؤوا يتحدثون في مجالسهم بذلك.. فقال (أبو حذيفة بـن عتبة بن ربيعة): أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس.. والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف..

فبلغت الكلمة رسول الله ﷺ.. فالتفت إلى (عمر) فقال:

- يا أبا حفص..

قال (عمر): والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص..

قال ﷺ يا (أبا حفص): أيُضرب وجهُ عمّ رسول الله بالسيف!..

فاستبشـع ذلـك.. وانتفـض.. كيف يرد (أبـو حذيفة) أمر رسـول الله ﷺ.. أليس مسلماً!!

- فصاح (عمر) قائلاً: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف.. فوالله لقد نافق..

فنـدم (أبـو حذيفـة) رضي الله عنه.. علـى مـا تكلم بـه.. وقـال: ما أنـا بآمن مـن تلك الكلمـة الـتي قلـت يومئـذ.. ولا أزال منهـا خائفـاً إلا أن تكفرها عني الشـهادة.. فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه..



انتظر.. لا تعترض



أذكر أن محاضراً كان يتكلم عن فن الحوار.. فعرض شيئاً من قصة يوسف عليه السلام.. فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ﴾[1].. جعل يتأمل في الحاضرين ثم سألهم:

- ودخل معه السجن فتيان؟! أيهما دخل قبل الآخر.. (يوسف) أم الفتيان؟
- فصاح أحدهم: (يوسف)..
- فصاح آخر: لا.. لا.. الفتيان..
- فانطلق ثالث: لا.. لا.. بل (يوسف).. (يوسف)..
- فاستذكى رابع وقال: دخلوا مع بعض!!

وتكلم خامس.. وارتفع اللغط.. حتى ضاع الموضوع الأساسي.. ويبدو أن المحاضر قصد ذلك.. فجعل يتأمل وجوههم.. والوقت يمضي.. ثم ابتسم ابتسامة عريضة.. وأشار لهم بخفض الأصوات وقال:

- وما المشكلة!! دخل قبلهم أو دخلوا قبله!! هل تستحق المسألة كل هذا الخلاف؟!

فعلاً.. لو تأملت واقعنا لوجدت أننا في أحيان كثيرة نكون ثقلاء على الآخرين بكثرة اعتراضنا على ما يقولون فيكون أحدهم متحمساً في قصة يحكيها.. ثم يفاجأ بمن يعترض ويفسد عليه متعة الحديث بالاعتراض على أشياء لا تؤثر في القصة شيئاً.. نعم.. لا تكن ثقيلاً تعترض على كل شيء..

(١) يوسف: ٣٦

أذكر أن أخي (سعود) لما كان طفلاً في السابعة.. دخل المسجد لصلاة العشاء.. ويبدو أنه كان مستعجلاً وتأخر الإمام في المجيء لإقامة الصلاة.. فلما ضاق بذلك ذرعاً توجه نحو المؤذن وكان شيخاً كبيراً ضعيف السمع ووقف خلفه.. ثم قبض على أنفه بيده وقال محاولاً تغيير صوته: أقم الصلاة.. ثم ولى هارباً!! أما المؤذن فما كاد يسمع ذلك حتى تحرك ناهضاً ليقيم الصلاة.. فنبهه بعض المأمومين.. فجلس وجعل يتلفّت مغضباً يتمنّى رؤية الغلام لعقابه..

كان موقفاً طريفاً.. لكني لم أورده لطرافته.. وإنما لأني جلست بعدها في مجلس فذكر أحد الجالسين القصة وقال في أثنائها: وكان (سعود) مستعجلاً لأنه سيذهب إلى البحر مع أبيه – مع العلم بأن الرياض في صحراء ولا تقع على ساحل بحر –.. فتحيرت هل أفسد عليه قصته وأعترض.. أم أن المعلومة غير مؤثرة في القصة فلا داعٍ للاعتراض واكتساب العداوات.. فآثرت الثاني وسكت..



وأحياناً قد تعترض على شيء أنت غير فاهمه أصلاً.. لعل له عذراً وأنت تلوم..

كان (زياد) لطيفاً حريصاً على نصح الناس.. وقف يوماً عند إشارة مرور فإذا به يسمع صوتاً عالياً لأغانٍ غربية..

تحير من أين هذا الصوت.. وأخذ يتلفت يبحث عن مصدره.. فإذا هو من السيارة المجاورة له.. وإذا صاحبها قد زاد صوت المذياع إلى أعلى درجاته.. حتى أسمع البعيد والقريب..

جعل صاحبي يضرب على منبه سيارته ويحاول أن ينبه ذاك الرجل إلى خفض صوت مذياعه.. لكن الرجل لا يلتفت ولا يرد.. يبدو أنه لشدة انسجامه مع ما يسمع صار لا يدري عما حوله..

حاول (زياد) أن يتبين وجه السائق الذي أسدل غترته على جانبي وجهه.. وبعد جهد رآه فإذا لحيته تملأ وجهه!!

ازداد العجب.. شخص بهذه الهيئة بدل أن يستمع إلى القرآن يستمع الأغاني!!
لا.. وبصوت عالٍ أيضاً!!

أضاءت الإشارة خضراء.. ومشى الجميع.. أصرّ (زياد) على مناصحة الرجل فجعل يمشي وراءه.. وقف الرجل عند دكان.. ونزل ليشتري منه حاجة.. أوقف زياد سيارته وراءه وصار يتأمله وهو يمشي فإذا الثوب قصير.. واللحية تملأ عارضيه.. تسابقت إلى قلبه الوساوس.. أظنه نزل ليخرج الآن بعلبة سجائر!!

خرج الرجل فإذا في يده مجلة إسلامية!! لم يصبر (زياد).. وأخذ ينادي بلطف: يا أخي.. لو سمحت.. هيه.. لم يرد عليه الرجل ولم يلتفت.. رفع صوته: هيه.. هيه.. لو سمحت.. يا أخي.. اسمع..

وصل الرجل سيارته وركبها.. ولم يلتفت.. نزل (زياد) وقد غضب وأقبل إليه.. وقال: يا أخي.. الله يهديك.. ما تسمع!! نظر الرجل إليه وابتسم وشغل سيارته.. فاشتغل المذياع مباشرة بصوت مزعج جداً.. فثار (زياد).. وقال: يا أخي حرام عليك.. أزعجت الناس.. فجعل الرجل يزيد ابتسامته.. والأغاني بأعلى صوت.. ثار (زياد) أكثر.. وجعل وجهه يحمرّ.. وصار يرفع صوته ليسمعه..

فلما رأى الرجل أن الأمر وصل إلى هذا الحد.. جعل يشير بيديه إلى أذنيه وينفضهما.. ثم أخرج دفتراً صغيراً من جيبه مكتوب على أول ورقة منه: أنا رجل أصم لا أسمع.. فضلاً اكتب ما تريد!!



قبل نجواكم: صدقة



الطلبـات الكبيرة تحتـاج إلى تهيئة المطلوب منه قبل طلبها.. لئلا يسـارع إلى الرفض.. وهذا عام في الطلبات الشفهية والمكتوبة..

فلـو أردت أن تكتـب إلى غني تطلب منـه حاجة.. فمن المناسـب أن تكتب قبل حاجتك شـيئاً من الثناء على جوده وكرمه ومحبته للخير.. ثم بعد ذلك تكتب حاجتك.. ومثله لو أردت حاجة من أبيك أو أخيك.. أو – من يدري ربما – زوجتك.. يناسب أن تقدم قبلها بمقدمة..

فلـو دعوت نفراً من أصدقائك إلى مأدبة غداء.. وأردت أن تخبر زوجتك لتعد الطعام وتهيئ البيت.. لناسب ان تقول قبل ذلك..

بصراحـة طعامـك لذيذ.. جميـع أصدقائي يفرحـون إذا دعوتهـم لأجل أن يأكلـوا من عمل يـدك.. تصدقين!! لقد أكلت في أرقـى المطاعم.. وما ذقت لذة كلذة طعامك أبداً..

وبصراحـة رأيت البارحة صديقاً لي جاء من سـفر.. ومـن باب المجاملة قلت لـه: تغدَّ معي غداً.. فتفاجأت به أن وافق..!! فدعوت معه بعض الأصدقاء.. فليتك تعملين لنا طعاماً..

هذا الأسلوب أحسن من صراخك إذا دخلت بيتك: يا فلانة.. فلانة..

فتجيبك: لبيك.. أنا قادمة.. وهي تظن أنك ستدعوها إلى نزهة..

فتقول لها: بسـرعة.. بسـرعة.. المطبخ.. المطبخ.. عندي رجال سيأتون.. لا تتأخري بالغداء.. وانتبهي أثناء إعداده.. و...

ومثله لو أردت أن تطلب إجازة من مديرك.. أو تخبر أمك أو أباك بخبر.. وقد قرأت في سيرة النبي الأكرم ﷺ.. ما يدل على ذلك..

كان النبي ﷺ قد رضع في صغره قريباً من ديار (هوازن).. وكان يرجو أن يسلموا.. فبلغه.. أن (هوازن) قد جمعت جموعها وتهيأت لقتاله.. فخرج إليهم.. وقاتلهم.. فنصر الله نبيه ﷺ عليهم.. فساق الغنائم..

فأقبل بعضهم إلى رسول الله ﷺ.. وهو نازل بالجعرانة.. وقد قَتل من قُتِلَ من رجالهم.. وقُتِل أيضاً من المسلمين رجال.. فهي معركة..



وكان رسول الله ﷺ قد جعل النساء والأطفال في مكان.. فأراد عقلاءُ من قبيلة (هوازن) أن يكلّموا رسول الله ﷺ ليفكّ أسْر نسائهم وصبيانهم..

فاختاروا رجلاً مفوّهاً منهم.. له أسلوب رائع.. ومنطق حسن.. فقام منهم خطيبهم (زهير بن صرد) وقدّم بمقدّمة..

فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك.. وحواضنك.. اللاتي كن يكفلنك.. ولو أنا ملّحنا لـ (ابن أبي شمر).. أو (النعمان بن المنذر).. ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك.. رجونا عائدتهم وعطفهم.. وأنت رسول الله خير المكفولين.. ثم أنشأ يقول:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت تَرْضَعَها ... إذ فوك تملؤه من محضها الدرر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر آلاء وإن كُفِرَتْ ... وعندنا بعد هذا اليومُ مدَّخر

فأطلق له النبي ﷺ السبايا من النساء والصبيان..

فتأمل: كيف قدّم بمقدّمة رائعة قبل طلبه.. ذكّر فيها رسول الله ﷺ بأيام طفولته في ديار (هوازن بني سعد).. ثمّ استنهض المروءة في رسول الله ﷺ بأننا لو أكرمنا غيرك من الملوك لأكرمنا.. وأنت أولى بالكرم.. فما أجمل ذلك..

وقد أدبّ الله المؤمنين.. فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾[1]..

وكانت العرب.. إذا أرادت أن تستنجد بأحد.. أو تطلب عونه.. أول ما تستفتح قولها بالكلام الحسن والأشعار.. وكذلك لو أرادوا إهانة أحد أو قتاله استفتحوا بالخطب والأشعار.. فتحدث في النفوس ما لا تفعله السيوف..

لما أقبل رسول الله ﷺ.. يريد العمرة.. خافت قريش.. وكاد النبي ﷺ أن يقاتلهم.. لولا أنهم ألحوا عليه حتى كتب بينه وبينهم.. هدنة لمدة عشر سنوات.. وقف للقتال.. وكان في صلح الحديبية.. لما كتب.. أنه من شاء من القبائل أن يدخل في عقد (محمد) وعهده دخل ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل..

فتواثبت قبيلة (خزاعة) وقالوا: نحن ندخل في عقد (محمد) وعهده.. وتواثبت (بنو بكر) وقالوا: نحن ندخل في عقد (قريش) وعهدهم.. وكان بين هذين الحيين دماء وقتال.. واشتدت ضغينة (قريش) على (خزاعة).. لكنهم خافوا أن يصيبوهم بشيء فينتصر لهم النبي ﷺ..



فلما مضى من هدنة الحديبية.. نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً.. وثب (بنو بكر) على (خزاعة).. ليلاً بماء يقال له الوتير.. وهو قريب من مكة.. وطلبوا الإعانة من قريش..

فقالت قريش: ما يعلم بنا (محمد) وهذا الليل وما يرانا من أحد..

(١) سورة المجادلة (١٢).

فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح.. وقاتلوهم معهم.. ففزعت (خزاعة).. وقُتِلَ من قُتِلَ من رجالهم ونسائهم وذراريهم..

فلما رأى رجل منهم وهو (عمرو بن سالم).. ما حلَّ بقومه.. ركب بعيره.. وهرب من يد قريش.. حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ في المدينة.. فدخلها فزعاً.. مصاباً مكروباً..

ثم أقبل إلى المسجد.. عليه أثر الطريق ووعثاء السفر.. ووقف بين يدي رسول الله ﷺ.. فقال:

يا رب إني ناشد محمداً ... حلف أبيه وأبينا الأتلدا
قد كُنتُمُ وِلْداً وكنا والداً ... ثمّت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أبدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيما خسفاً وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ... إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقَضوا ميثاقك المؤكدا ... وجعلوا لي في كداء رصداً
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... فهم أذل وأقل عدداً
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعاً وسجدا

فلما سمع النبي ﷺ هذا الكلام.. والشعر.. والنداء.. انتفض.. وغضب.. وقال:
نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم..

ثم قام.. مسرعاً.. وأمر الناس بالتجهز للخروج للقتال.. ففزع الناس يتجهزون.. وهم لا يعلمون أين سيكون القتال.. وقد خشي ﷺ أن يخبر بوجهته.. فَيَصِل الخبر إلى قريش.. وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يَبْغتهم في بلادهم..

ورسول الله ﷺ.. قد اشتد غضبه على قريش لخيانتهم.. فكان يتجهز ويقول:
كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة..

ثـم أقبل نفر من قبيلة (خزاعة) آخرون إلى رسـول الله ﷺ.. فيهم (بديل بن ورقاء).. حتى قدموا على رسـول الله ﷺ.. فأخبروه بمـا أصيب منهم.. ومظاهرة قريـش لقبيلة (بني بكر) عليهـم.. فوعدهم النبي ﷺ بالنصر.. وقال لهم: ارجعوا فتفرقـوا في البلـدان.. وخشـي أن تعلـم قريش بخبرهـم معه.. فتقاتلهـم.. قبل وصوله إليهم..

فانصرفوا راجعين إلى ديارهم.. فلقوا (أبا سفيان) في موضع بين مكة والمدينة اسمه (عسفان).. قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ.. يشد ويؤكـد العقد المكتوب في الحديبيـة ويزيـد في المدة.. وقـد رهبوا أن يكون بلغه ما فعلـوا.. فلما لقي (أبو سـفيان) (بديل بن ورقاء).. خشـي أن يكون أقبل من عند رسول الله ﷺ.. وأخبره بخيانة قريش..

- **فقال:** من أين أقبلت يا بديل؟
- **فقال بديل:** سِرْت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي..

فسـكت (أبو سـفيان).. فلما جاوزه (بديل).. أقبل (أبو سفيان) إلى مَبْرك ناقة (بديل).. فأخذ من بَعْرِها ففتّه بيده.. فرأى فيه نوى التمر.. فعلم أن الناقة كانت بالمدينة.. فهم الذين يطعمون دوابهم نوى التمر.. فقال (أبو سفيان): أحلف بالله لقد جاء بديل من عند (محمد)..

ثم مضى (أبو سـفيان).. حتى وصل المدينة.. فتوجه إلى بيت ابنته (أم حبيبة) زوج رسـول الله ﷺ.. فلما دخل أقبل ليجلس على فراش رسـول الله ﷺ.. فطوته من تحته..

- **فقال:** يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش.. أو رغبت به عني؟
- **فقالت:** بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس.. فلم أحب أن تجلس على فراشه..
- **فعجب منها.. وقال:** يا بنية والله لقد أصابك بعدي شر!

ثم مضى (أبو سفيان) إلى رسول الله ﷺ..

- فقال: يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة..
- فقال ﷺ: ولذلك قدمت؟ هل كان من حَدَثٍ قِبَلَكُم؟!

ولم يُظهر لهُ النبي ﷺ أنه علم بخيانة قريش ولا أنه علم بقتالهم لقبيلة (خزاعة).. فكأنه يقول لأبي سفيان: لماذا تجدّدون العهد وتزيدون المدّة.. أليس العهد باقياً فلماذا يُجدَّد أو يُشدَّد..

- قال أبو سفيان: معاذ الله! نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل..

فسكت عنه النبي ﷺ.. فكرر عليه (أبو سفيان).. ورسول الله ﷺ لا يجيبه.. فخرج (أبو سفيان) من عند رسول الله ﷺ.. وأتى (أبا بكر) رضي الله عنه فقال:

- اشفع لي عند محمد.. أن يجدد العقد.. ويزيد في المدة.. أو امنعني وقومي..
- فقال (أبو بكر): جواري في جوار رسول الله ﷺ.. ولا أمنع أحداً منه.. وأما أنا فوالله لو وجدت الذَّر – صغار النّمل – تقاتلكم لأعنتها عليكم..

فخرج (أبو سفيان) كسيراً.. وتوجه إلى (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه فكلمه.. فقال (عمر بن الخطاب):

- أنا أشفع لكم عند رسول الله ﷺ؟! بل ما كان من حلفنا جديداً أخلَقَه الله.. وما كان منه مُثْبتاً فقطعه الله.. وما كان منه مقطوعاً فَلا وصله الله!

فلما سمع (أبو سفيان) ذلك.. تغيّر وضاق صدره.. فكأنما لُطِم.. فخرج (أبو سفيان) وهو يقول:

- جُزِيتَ من ذي رحمٍ شَراً..

فلما يئس مما عندهم دخلّ على (علي) رضي الله عنه..

- **فقال له:** يا علي أنت أقربهم بي نسباً.. فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ..
- **فقـال لـه (علي):** يا (أبا سـفيان).. إنه ليس أحد من أصحاب رسـول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بِجوار..

أي لا يستطيع أحد منعه عن أحد إن أراد قتاله أو عقوبته.. فهو لا ينطق عن الهوى.. وأنت سـيد قريش.. وأكبرها.. وأمنعها.. فَأَجِرْ بين عشيرتك.. وامنع نفسك.. يعني: صح بالناس إني قد منعت نفسي.. ثم الحق بأرضك..

- **قال (أبو سفيان):** أو ترى ذلك يغني عني شيئاً..
- **قال:** لا.. ولكن هو رأي أراه..

فخـرج (أبو سـفيان) إلى الناس في المدينـة ثم صاح.. ألا إني قـد أَجَرْتُ بين الناس.. ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد..

ثم ركب بعيره فانطلق إلى مكة.. فلما أن قدم على قريش قالوا:

- ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من (محمد) أو عهد؟
- **قـال:** لا والله لقد أبى عليَّ.. وقد تتبعـت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له.. لقد جئت محمداً فكلمته.. فوالله ما رد عليَّ شـيئاً.. ثم جئت ابـن أبي قحافة فـوالله ما وجدت فيه خـيراً.. ثم جئت عمـر فوجدته أعدى عدو.. ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم.. وقد أشار عليَّ بأمر صنعته.. فوالله ما أدري هل يغني عنا شيئاً أم لا؟
- **قالوا:** بماذا أمرك؟
- **قال:** أمرني أن أُجِير نفسي بنفسي بين الناس ففعلت..
- **قالوا:** هل أجاز ذلك (محمد)؟

أي: هل وافق (محمد) على قبول طلبك الحماية لنفسك.. وألزمَ أصحابه بِهِ؟!

- **قال:** لا..
- **قالوا:** ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك.. فما يغني عنا ما قلت..
- **فقال:** لا والله ما وجدت غير ذلك..

فاغْتمَّ (أبو سفيان).. ودخل على امرأته فحدَّثها الحديث فقالت: قبحك الله من وافِدِ قوم! فما جئت بخير..

ولم تمضِ أيام حتى أقبل رسول الله ﷺ.. إلى مكة فاتحاً..



ليس مهماً أن تنجح دائماً



كان (فهد) يمشـي مع صاحبه - العنيد المكابر - في صحراء شاسعة فرأيا شيئاً أسود رابضاً على التراب.. تخفيه الريح تارة وتظهره تارة.. التفت (فهد) إلى صاحبه..

- وسأله: تتوقع.. ما هذا؟!
- فقال صاحبه: هذه عنز سوداء!!
- قال (فهد): بل غراب..
- قال صاحبه: أقول لك: عنز.. يَعني عنز..
- قال (فهد): طيب نقترب ونتأكد..

اقتربا.. وجعلا يركّزان النظر أكثر وأكثر.. كان واضحاً أن الذي أمامهما غراب!!

- قال (فهد): يا أخي.. والله غراب..
- هزّ صاحبه رأسه بكل حزم وقال: عنز

سكت (فهد).. واقتربا أكثر.. فشعر الغراب باقترابهما فطار..

- فصاح (فهد): الله أكبر.. غراب.. أرأيت إنه غراب.. طار..



- فقال صاحبه: عنز.. حتى لو طار!!

لماذا أوردت هذه القصة؟ أوردتها لأجل أن أبين:

أن هذه المهارات التي تقدمت فيما مضى من صفحات.. تصلح مع الناس عموماً.. لكن مع ذلك يبقى أن بعض الناس مهما مارست معه مهارات لا يتفاعل معك..

فلو مارست معه مهارة اللمح.. فقلت: ما شاء الله ما أجمل ثيابك.. كأنك عريس.. وأنت تتوقع منه أن يتبسم ويشكرك على لطفك..

فإنه لا يفعل ذلك.. وإنما ينظر إليك شزراً.. ويقول: طيب.. طيب.. لا تجامل.. لا تستخف دمك.. ونحو ذلك من العبارات السامجة التي تدل على عدم خبرته في التعامل مع الناس..



ومثله المرأة التي قد تمارس مع زوجها مهارات.. كمهارة التفاعل مثلاً.. فيحكي نكتة باردة.. فتتفاعل معه ضاحكة..

فيقول: طيب.. لا تغصبي نفسك على الضحك؟!!

إذا واجهت هذه النوعيات من الناس فاعلم أنهم لا يمثلون المجتمع..

ولقد جربت هذه المهارات بنفسي.. نعم والله جربتها بنفسي فرأيت آثارها في الناس.. كباراً وصغاراً.. بسطاء وأذكياء.. وأصحاب مناصب عليا.. وطلاباً عندي في الكلية..جرَبتها مع أولادي.. فرأيت لها أعاجيب.. بل جربتها مع مختلف الأجناس والجنسيات.. فرأيت آثارها..

والله إني لك ناصح..



كن بطلاً وابدأ الآن



أذكر أني ألقيت دورة في مهارات التعامل مع الناس.. كان (عبدالعزيز) من بين الحضور.. كان تأثره واضحاً.. لاحظته يكتب كل شاردة وواردة.. مضت أيام الدورة الثلاثة.. وتفرقنا.. بعدها بشهر ألقيت الدورة نفسها مرة أخرى.. فلما نظرت إلى الحضور.. فإذا (عبدالعزيز) يجلس في الصف الأول!! تملكني العجب!! لماذا يحضرها مرة أخرى وهو يعلم أني سأعيد الكلام نفسه!

لما أُذن للصلاة وتفرّق الطلاب من الصالة.. أخذت يد (عبدالعزيز) ومشيت به جانباً..

- **وسألته:** عبدالعزيز.. لماذا تحضر مرة أخرى.. وأنت تعلم أني سأعيد الكلام نفسه..!! والمذكرة التي بين يديك هي نفسها المذكرة السابقة!! والشهادة التي ستحصل عليها هي الشهادة نفسها!! يعني لن تستفيد شيئاً..
- **فقال لي:** تصدق!! والله إن أصحابي وزملائي يقولون لي: يا عبدالعزيز أنت تغيرت في تعاملك معنا منذ شهر.. ففكرت في ذلك فإذا أنا أُطبق ما تعلمته من مهارات في الدورة السابقة.. فجئت لأحضر الدورة مرة أخرى لتأكيد ما تعلمته من مهارات..

إذن..



إذا كنت جاداً في التغيير..
فكن بطلاً وابدأ الآن..